

المحطة الثالثة

السـودان

(طريق العودة)



## ■ طريق العودة

لم تفلح كل الجهود المبذولة في اقتناعي بالبقاء وقررت العودة إلى الخرطوم وقد اقامت لي أسرة المستشفى حفل وداع مشهوداً واهدتني وأسرتي هدايا فضية منقوشة فيها عبارات تذكارية مازالت معلقة على الجدران.

وكتبت قصيدة وداع بعنوان (كلمات ملتهبة في وداع صديقتي بريطانيا) في (ديوان قصائد من بريطانيا) ص ٣٩٨ وهي بمعيار اليوم شهادة على العصر كتبت قبل عشرين سنة تقف شاهد صدق على واقع اليوم واعتز بها وهي مزيج من الشعور بالذنب والعزة بالاثم والاسقاط والتبرير وشتى حيل النفس الدفاعية السوية وياليت قومي يعلمون وكأن لسان حالي يقول مع المتنبئ:

وماقتل الاحرار كالغفو عنهم      ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا  
ازل حسد الحساد عني فإنني      بحبك قد صيرتهم لي حسدا  
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته      وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

في ٢٣/٨/١٩٧٤ حزمت حقائبي وسافرت إلى الخرطوم ووصلت في ليلة مقمرة وكأنني أرى السماء لأول مرة منذ أن فارقت الخرطوم وفكرت في أخذ إجازة قصيرة (استراحة محارب) للاستمتاع بالهدنة المعلنة من الدراسة مدى أربعة أعوام ذهبت في اليوم التالي للابلاغ عن عودتي فعلمت (أن رئاسة الوزارة قد أوقفت راتبي بعد أن حصلت على الدبلوم ولم اعد للعمل) واستلمت صورة من الرسالة مازالت في مكتبتي حتى اليوم وان هنالك إجراءات يجب أن تتم قبل البدء في مناقشة عودتي إلى العمل وتذكرت هنا مقولة زميلنا الدكتور محمد على صالح في موقف شبيه بعد عودته من لندن حينما رد على هذا السؤال قائلاً: (ومن قال انني أريد العودة للوزارة؟) وخرج ولم يعد حتى الآن حيث أصبح من أكبر الاطباء النفسيين (البريطانيين) اليوم في بريطانيا.

وأذكر أن زوجتي سألته ذات مرة جاء يزورنا في المنزل في روسبي مع جاليتنا الصغيرة: لماذا لم ترجع إلى السودان؟ فقال لها إنني أخذت العفو من الوالدين وما عندي أسرة ولا اشعار وطنية زي الزين!! وقد صدق فقد كانت هذه بعض قيودي فإن وجودي بوليصة تأمين من أجل الآخرين وأشعاري ميثاق شرف مع الوطن و عفواً للاستطراد.

ذهبت لمقابلة المسئولين في القسم وجلسنا تحت الشجرة الظليلة في قلب مستشفى التجاني

الماحي نتناقش حول الاجازة القصيرة أو البدء في العمل مباشرة فقبل لي أن هنالك أقساماً جديدة يراد افتتاحها في عواصم الاقاليم الجديدة في (واو) أو (الدويم) أو (كادقلي) أو (دنقلا) ومن خلال هذه الخيارات عرفت مضمون هذه الرسالة في البحث عن بديل للخرطوم وأخذت رسالة كتابية إلى وكيل الوزارة بمنحي تذاكر سفر بالطائرة إلى كل هذه المدن للاطلاع على الامكانيات لافتتاح قسم للطب النفسي.

التقيت بالدكتور عباس مختار وكيل الوزارة الذي رحب بي وسألني ساخراً : ( أنت جاي من المريخ) عندما بعثتك الوزارة ما كانت تعرف أين ستعمل عندما تعود؟ إذا كانت إدارتك ما عارفه توديك وين أنا ما عندي ميزانية مفتوحة عشان أعطيك تذكرة سفر سياحية مفتوحة بالطائرة لتتجول بها في العواصم المختلفة بحثا عن عمل. أذهب وأنفق معهم على مكان وسوف أعطيك تذكرة لهذا المكان بالتحديد.

ذهبت وبلغت هذه الرسالة وعلمت من الأخوة الاطباء أن عاصفة قد سبقنتي حول رأيي في افتتاح مستشفى التجاني الماحي حيث كنت ومازلت اعتقد انها خطوة صحيحة في الاتجاه الخاطئ في زمن يتجه العالم إلى هدم المصحات العقلية المعزولة وبناء وحدات صغيرة متخصصة داخل المستشفيات العامة تعتمد نهج الباب المفتوح لا الباب الدوار ونقل الخدمات إلى المريض لانقل المريض إلى الخدمات وإزالة وصمة المرض النفسي.. في هذا الزمن ينبغي أن ندمج عيادة بحري في مستشفى بحري ونطور عيادة أم درمان في مستشفى ام درمان ورغم اعتزازي بالتجاني الماحي وحببي الذي لا يتطرق إليه الشك فهو يحتاج إلى قاعة أو مدرج في الجامعة أو حتى عنبر داخل وحدة داخل مستشفى عام ولا نحتاج إلى مستشفى جديدة معزولة تنقلب إلى مصحة مدمنين أو بؤرة مجرمين.

قلت هذا في وقت فعلاً قد تم هدم كل المستشفيات الكبيرة والتي عملت فيها في بريطانيا ﴿وفي انفسكم أفلا تتظرون﴾ و كتبت عنه في كتاب (أضواء على النفس البشرية) والذي طبع في بيروت عام ١٩٨٧ ص ٣٥٦

لم يكن هذا الرأي بحثاً عن المتاعب ولكنه بعض مما تعلمته عندما ذهبنا في بعثات دراسية أصلاً بقصد الاستفادة من الخبرات الحديثة وتطبيقها على واقعنا بالصورة التي تحقق هدف الابتعاث وبعد أخذ و رد كان اشبه بحوار الطرشان وبعد أن ايقنت أن لا خيار لمن لا يختار اتفقت

والشرق والغرب ثم ترسل إلى الدويم العاصمة ليعاد مرة أخرى تصديرها إلى كوستي.

رجعنا بعد رحلة مضية لن أنساها اضافت إلى قائمة اعداري عدة أسباب و كانت مدينة كوستي قد بدأت تتفاعل مع المشكلة وخاصة في (عرين الاحمدين) والسيد الطيب علي طه من كبار اقطاب طائفة الانصار فقرروا مساعدتي في توفير المكان في (دار حزب الأمة) المصادرة وكان هذا حلاً جذرياً وحاسماً إذ أن المشكلة الأولى كانت في توفير المبنى كما قرروا تهيئة المبنى من الداخل بالعمون الذاتي وفي بضعة اسابيع كان القسم جاهزاً واصبح اكثر روعة وجمالاً وجاذبيه من مبنى المستشفى الرئيسي المقابل له في الجانب الآخر من الطريق.

رجعت إلى الخرطوم وأحضرت أسرتي واعطوني سكناً حكومياً جديداً بجوار منزل المحافظ ولم يكن معداً لي ولكنها سياسة الأمر الواقع فلا بد لي ان ينجلي ولا بد للقيد أن ينكسر وشعرت انني أعيد تجربة قسم ود مدني مع الفارق في ظروف الشخصية.

للتاريخ ينبغي أن أذكر أنني كنت على اتصال دائم طوال اقامتي في لندن مع الصديق الاديب الاستاذ عمر الحاج موسى ولم تنقطع بيننا الرسائل وعندما رجعت إلى الخرطوم واستلزم الأمر خروجي من العاصمة عرض علي العمل في الخرطوم تحت مظلة الاتحاد الاشتراكي وانه سوف يكون لي خير معين وسوف يخصص لي سكناً في الحي البريطاني جوار الدكتور يوسف بشاره ويستمر ابنائي في مدرسة القديس فرانسس وإلا فإنه كمسئول سياسي عن اقليم النيل الابيض فلا يرى لي بديلاً آخراً.

عدت إلى الخرطوم لاناقدش مع المسئولين مسألة الكادر الطبي خاصة وان هذا تخصص نادر يحتاج إلى كادر طبي متدرب وبنء خاص بالعقاقير النفسيه واجهزة خاصة به وكانت علاقاتي الشخصية بالمسئولين في جهات اخرى كفيلة بحل كثير من المشكلات الحقيقية والمفتعلة.

## ■ اقليم النيل الأبيض و الأقليم الجنوبي

زارنا في مدينة كوستي صديقي وزميل الدراسة الدكتور (جستن ياك) من ابناء الجنوب وقد عين وزيراً للصحة للأقليم الجنوبي بعد اتفاقية السلام في (اديس ابابا) فدعوته إلى المنزل لزيارة أسرتي وحدثته عن البعثة وحضوري لافتتاح القسم في كوستي وعن المشاكل الادارية

والمالية فقال لي : لماذا لا تجعل القسم لخدمة اقليم النيل الابيض و(الاقليم الجنوبي) لاننا كما تعرف نعاني من مشكلة الإدمان على المسكرات والمخدرات ونرسل الحالات إلى الخرطوم فإما إن لا تعود أو ترجع بإجازة مرضية مفتوحة ولا نعرف تأخذهم إلى المستشفى أو السجن إلى جانب بعد المسافة والتذاكر والحراسة وبعضهم قد سرق كل الوابورات والصنادل ومعدات الميناء.

بدأنا اجراءات ضم خدمات (الاقليم الجنوبي) وحصلنا على معونات مادية بمبادرة شخصية من الوزير ومنها راتبي المنقطع من المحافظة واكتسب القسم مشروعية سياسية جعلت وصول الكادر الطبي والعقاقير النفسية روتيناً ادارياً وتم افتتاح القسم و بدأ العمل فيه بزخم شديد.

بدأنا حياتنا الاسرية مع الزملاء من الاداريين والقضاة امثال الصديق الوفي حتى اليوم القاضي الدكتور الفاضل نايل ومولانا عبدالمحمود والذي انخرط في العمل السياسي وكانا زملاء دراسة في مدرسة حنتوب الثانوية إلى جانب الاخوة الاطباء خاصة الدكتور يسن أبو تركي والذي رسم لنا برنامجاً أسرياً أسبوعياً يبدأ من الصباح في يوم الجمعة وينتهي في المساء بمشاهدة الفيلم الهندي في سينما كوستي.

وحدث أن كانت هنالك ليلة سياسية للاتحاد الاشتراكي يتكلم فيها الاستاذ عمر الحاج موسى المسئول السياسي للاقليم ومعه الاخ الاديب محمد عثمان ابو ساق والسيد محافظ المدينة فدعوني للحضور والمشاركة فذهبت إلى الاخ العزيز عمر وشرحت له حساسية الموقف إذ كيف يستقيم عقلاً مشاركتي في حفل سياسي يحمل ضمناً عداً مبطناً لأهل الدار وأنا ضيف عندهم احسنوا ضيافتني وأكرموا وفادتي وبالغوا في تكريمي حين فتحوا لي دارهم مقرأً لعملي الذي عجزت عنه الدولة وكان عمر رحمة الله عليه صديقاً لكل الاطراف وراعياً لكل الاعراف.... راجع (رسالة إلى عمر في العالم الآخر) في كتابي (أضواء على النفس البشرية) ص ١٢٨... فطلب مني أن اعتذر للسيد المحافظ بحكم انه جاري وسوف يتفهم الموقف وقد فعلت وانتهى الامر باعتكالي في المنزل.

يبدو أن الأمر لم ينته عند هذا الحد خاصة وأن هذه الليالي السياسية اخذت منحى دورياً وعلى مرمى حجر من بوابة (الجزيرة ابا) وما في كل مرة تسلم الجرة كما يقولون.

بدأ الراتب يتقطع والموظفون الذين يذهبون إلى الخرطوم لصرف رواتبهم يتأخرون حتى نهاية الشهر التالي والأدوية آخذة في الشح والانقطاع فأشار علي نفر من كرام المواطنين أن افتح

عيادة خاصة تكفيني غلبة الدين وقهر الرجال وذل السؤال وتكفلوا بمعظم نفقاتها حتى تقف على اقدامها وتسدد ديونها من الدخل المشروع واستمرت الحياة الشخصية تسير على مايرام ولكن ظروف العمل تزداد قسوة . قال لي الدكتور أبوتركي : يا أخي مرة ثانية ما دمت ساكن واكل شارب وعيادتك شغالة خلي عيادة الحكومة للحكومة أنت أولى منها؟ قلت له : ماذا يقول الناس عندما تكون عيادتي شغالة وعبادة الدولة واقفة؟ قال لي أنت مالك هم عارفين ويمكن عايزين كده .... أنت من يوم ماجيت طالع نازل بين الخرطوم وكوستي وكأنها عيادتك الخاصة.

وفعلاً في اليوم التالي ركبت الباص السريع من كوستي إلى الخرطوم ونزلت في المستودعات الطبية والتقيت بالدكتور كمال مدني مدير المستودعات و اخذت حاجتي من الادوية والمستلزمات ونصحتني دون تفسير ان اكف عن تكليف نفسي فوق طاقتها وطلب مني توضيح من الوزارة حول وضع القسم كتابة وحسب معرفتي الشخصية للدكتور كمال مدني لايبادر بهذه النصيحة إلا من خلفيه مهمة.

تشاء محاسن الصدف أن يعقد في الخرطوم مؤتمر عالمي حول (وبائيات الامراض النفسية) و يحضره صفة من الاطباء البريطانيين الذين عملت معهم وتلمذت على أيديهم وفي مقدمتهم البروفيسور جون كوبر والذي أشرت وسوف اشير اليه في كثير من المواقع قال لي:(لقد سألت عنك وقيل لي أنك تعمل على بعد ثلاثمائة ميل من هنا لماذا اخترت هذا المكان بعيداً عن مركز الخدمات) وعندما شرحت له الاسباب فقط بالقدر الذي ينبغي أن يعرفه طلب مني أن اكتب له مذكرة صغيرة عن طبيعة عملي وابعث له بها في عنوانه في بريطانيا وهذا ماكان يفعله معي عندما احده عن أي مشروع أعمل فيه حتى عندما كنت في بريطانيا. فالأجانب يحبون التوثيق وإبداء النصيحة من واقع المعلومات المدونة.

وقد رتبت لهم رئاسة القسم زيارة إلى مستشفى التجاني الماحي بام درمان وطافوا باقسام المستشفى.

قال لي في نهاية الزيارة : أفضل لك أن تعمل في مكان جديد لوحدك من أن تذوب هنا !!! وإذا لم تتمكن من تحقيق مشروعاتك هناك وقررت العودة إلى بريطانيا فيمكنك الاتصال بي وسوف أرتب لك فرصة الالتحاق بدورة تدريبية في تخطيط الدماغ الكهربائي كما طلبت مني من قبل.

رجعت إلى كوستي لاجد أن الموضوع قد وصل نقطة اللاعودة في المسار السياسي فقررت أن لا أكون طرفاً في شأن سياسي اعرف ان خياراته محدودة أو ادخل في الدهاليز الادارية المعروفه بعد أن خرجت منها في السابق بثمان غال وكان يملكني شعور بالرضا عن جهودى في سبيل أن اخدم بلادي باخلاص وأن انجز شيئاً يستوجب الذكر الحسن وايقنت أنني قد حققت هذه الغاية على الأقل في حدود امكانياتي الشخصية المحدودة وتركت بصمة في تاريخ الخدمات الصحية في مدينة كوستي ما زالت عالقة في اذهان الكثيرين من أهالي المنطقة و(على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك المقاصد ) والله وراء القصد.

كنا في عشاء في منزل القاضي المقيم الأخ الفاضل نايل وتباحثنا في الموضوع مع الاخوة الحضور كنوع من العصف الذهني والقابض على الجمر ليس كالقابض على الماء وعندما خرجنا سألني الدكتور الصادق الامين إن كنت انوي الهجرة قلت له: يا صادق ان كنت أنوي الهجرة لهاجرت من لندن مباشرة إلى الخليج مع الصفوة التي كانت معي ولم يرجع أكثرهم من هناك وماكنت عانيت كل هذه المعاناة منذ أول يوم وطأت فيه قدمي أرض الوطن رغم أنني احمل عقود عمل من أكثر من دولة ولكنني جئت بنية البقاء كل شيء يشهد على ذلك.

قال لي : إذا قررت الهجرة فخبّرني بذلك فأجبتته بأنني لا أفكر في الهجرة ولكنني أرغب في الخروج من هذا المأزق حتى ولو مؤقتاً لأن الدخول في الدهاليز السياسي في الخرطوم في ذلك الوقت كان يعني الداخول مفقود والخارج مولود.

بعد عدة أيام جاءني الأخ أبوتركي وسألني عن خطتي فقلت له لقد قررت الخروج دون ضوضاء وسوف اترك كل شيء كما هو وعندما اصل إلى بر الامان سوف ارسل إليك برقية تقول نحن بخير(وعندئذ ترسل أسرتي إلى الخرطوم وأكون لكم من الشاكرين وقد طمأنته بأن الأخ الصادق لديه علم بذلك وسألني متى؟ فأجبتته بأن زوجتي سوف تخبره بالتاريخ.

في يوم الخميس طلبت من سائق المستشفى أن يحضر سيارتي للسفر إلى الخرطوم في فجر الجمعة وكانت لدي مؤونة كافية من الجازولين والذي كان ساحة صراع بين التجار والزراع وجزى الله الشدائد كل خير والشكر موصول إلى اصدقائي الضباط الإداريين في الحكم المحلي في مدينة كوستي ثم انطلقت بي السيارة بعد الفجر في طريق (ربك) وكان لسان حال السائق يردد اغنية الحقيبة:

(من الاسكلا وحلا... قام من البلد ولي... دمعي اللي الثياب بلا)



أخذنا استراحة ما بين كوستي والجبلين ثم واصلنا المسيرة حتى توقفنا في مشروع الجزيرة في (بركات) للاستجمام في منزل الاخ والصديق هاشم الجمري الضابط الانقلابي المتقاعد والقطب المعارض للنظام (ابن اختي ولكنه ولد قبلي وزوج شقيقة زوجتي الكبرى) لكل هذه الصفات مجتمعة كان خير من يقدم الدعم النفسي ويقوم بالتوجيه المعنوي لاصحاب العلاقة من بقية الاسرة التي لا تعرف خلفية الخلاف و قطعاً لن ترغب في رؤيتي اترك البلاد مهما كانت المشكلة.

تركت له هذه المهمة الصعبة وقال لي: (خيراً ما فعلت ولو لم تفعل ذلك لما كنت خالي) والذين يعرفون هاشم الجمري يستطيعون تصور ما قاله في هذا الموضوع الذي يمثل هاجساً مؤرقاً له مع النظام وما كل ما يعرف يقال.

وصلنا في التاسعة مساءً إلى منزل أهل زوجتي في الخرطوم بحري وتحدثنا طويلاً وطمأنتهم على ما انوي عليه وفي الصباح الباكر ذهبت إلى صديقي العم كامل أمين مصطفى واخبرته بالموضوع فقال لي: (لماذا لاتفتح عيادة في الخرطوم وتنتهي الموضوع؟) فحاولت أن اوضح له اننا قد قتلنا هذا الموضوع بحثاً وتجاوزنا مرحلة الخيارات ووصلنا لحظة التنفيذ وأريد منه مساعدتي في هذا الاتجاه.

وقد كان رحمه الله رجلاً عملياً فقد قال لي: أولاً سوف نشترى منك السيارة المرسيديس الجاز للأخ الصديق أحمد عبدالرحمن الشيخ محافظ بنك السودان بخمسة آلاف جنية سوداني ونزيد المبلغ ونشترى لك عقاراً من صديقي في الحلفاية فأنت الآن لا تحتاج إلى الكاش حتى تعرف نهاية الأمر فاكتب توكيلاً لزوجتك للتوقيع على المبايعة وفي الواحدة ظهراً كانت كل الاجراءات قد اكتملت بما في ذلك تذكرة السفر والحجز على الطائرة السعودية إلى جدة.

وصلت إلى جدة وقابلني الدكتور الطيب علي زروق أول المهاجرين من دفعتي في التخصص والذي كان قد استقر في (مستشفى شهر) للأمراض النفسية والعصبية بالطائف بالمملكة العربية السعودية ثم التقيت بالأخ الكريم الدكتور أسامه الراضي مدير المستشفى وأحد الرموز البارزة في مجال الطب النفسي في السعودية والعالم العربي.

في اليوم التالي سافرت إلى مدينة (دبي) في دولة الإمارات العربية المتحدة ونزلت في فندق (كلاريج) وكان أحد مقار الضيافة للمتقاعدين للعمل مع وزارة الصحة فالتقيت بالصديق

الحميم الدكتور فيصل صبره والدكتور عبدالرحمن حسب الرسول من أفراد الجالية السودانية في (لنكلن) وقد سبقاني إلى الخليج فقال لي الدكتور عبدالرحمن: هذا طواف القدم أم الافاضة؟ قلت له هذا بداية الخروج من عنق الزجاجاة التي لم تجرب الدخول فيها. وقال لي: لقد حذرتك من الخرطوم وقد نصحتك بما سوف يحدث عند العودة والحق يقال لقد فعل. فقلت له: على الأقل كان لي أجر المحاولة.

سافرت في اليوم التالي إلى بيروت لمقابلة صديقي الحميم الاستاذ خليل طعمه صاحب دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع للزيارة وتسليمه مسودة ديوان (قصائد من بريطانيا) نزلت في فندق الكونكورد في الحمرا وقبل أن نستجم من وعثاء السفر سمعنا انباء القتال في طريق المطار في يوم ١٥/٤/١٩٧٥ وكانت هذه بداية اندلاع الحرب الأهلية في لبنان.

اتصلت بالأخ خليل طعمه واخبرته بوصولي ورجبتي في ملاقاته فرحب بي وحياني ونصحتني بأن الطريق غير آمنة وأنه في الجبل ولا يستطيع الحضور ويبدو أنه كان على علم بمجريات الامور وطلب مني إيداع الديوان في الفندق وسوف يأخذه في وقت لاحق لم يتمكن من التقاط انفاسنا أو استيعاب مايدور حتى قدمت لنا الإذاعة بياناً تطلب فيه من كل الزوار الذين ليست لهم مصالح عاجلة في بيروت المغادرة إلى المطار عن طريق الشاطئ حيث أن طريق المطار نفسه لم يكن آمناً.

سافرت إلى لندن وذهبت لمقابلة البروفيسور جون كوبر في نوتنجهام في مستشفى (مابرلي) وبدأت العمل معه وكان من بين السودانيين الذين يتدربون في كورس الزمالة الاخ الزميل الراحل الدكتور خالد علام رحمه الله و عطر ثراه عندما وافته المنية فجأة في (مستشفى راشد) في مدينة (دبي) بعدما عدنا لنعمل في دولة الامارات العربية المتحدة. فكرت في عودة أسرتي من الخرطوم فاتصلت بمدير مستشفىنا السابق وعبرت له عن رجبتي في العمل في (روسبي) في لنكلن مع الاستمرار في حضور الدورة التدريبية في نوتنجهام خاصة وإنها على بعد بضعة اميال ولدي سيارة وكان السبب عدم وجود سكن عائلي في وحدة البروفيسور كوبر الاكاديمية في نوتنجهام حيث ما زالت الوحدة الجامعية في طور الانشاء. فرحب بي الدكتور هيويرت كول وأعطاني نفس البيت الذي كنت أسكن فيه بعدما أخلاه الزميل الدكتور (فارما) الهندي الأعزب وانتقل إلى شقة داخل المستشفى... الآن بعثت البرقية الموعودة إلى الدكتور الصادق المقبول في كوستي تقول (نحن بخير) وقد كنا حقا كذلك واتصلت

بأهل زوجتي في الخرطوم بحري وطمأنتهم على وضعي وطلبت إرسال العائلة في نفس العنوان القديم حتى تطمئن قلوبهم.

وصلت أسرتي الى نفس المنزل القديم ولسان حالهم يقول: ورجعت ما ألقى الرجوع إليه!!! لقد خالط نفسي مزيج من الفرح والحزن.. الفرحة بعودة الأسرة ولم الشمل والحزن على هذا الكبرياء الجريح عندما رفضت كل العروض وارضت عن كل المغريات لأعود إلى وطني وأخدم بلادي وهكذا تدفعني دفعاً إلى الخارج من (الداخل) ويفتح لي (الخارج) ذراعيه مرة أخرى ويأخذني في الاحضان التي ضاقت بي ذرعاً الداخل وبدأت أواسي نفسي بكل الاشعار التي حفظتها في هذا الشأن أمثال:

بلادي وان جارت عليّ عزيزة وأهلي وان ضنوا عليّ كرام

وعندما لا يكفي هذا تبريراً أعود وأقول:

لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

وأول ما خطر على بالي علاج ابني (نادر) والذي كان يعاني من ضمور في عضلات اليد اليسرى عندما اصيب بجرح قاطع في يده في نفس هذا المنزل في بريطانيا قبل عودتنا بشهور والتأم الجرح وما كنا نعلم أنه اصاب اعصاب اليد وقد عرضناه على الصديق الصدوق البروفيسور عبدالعال عبدالله اخصائي جراحة التجميل والذي اجري له عملية استكشافية وطلب متابعة الحالة ومراجعته في المستقبل وعندما طلبت من الوزارة أن أسافر به للخارج قالوا: بعد استلام العمل كما ذكرت وكان لزاماً على أن اسافر إلى كوستي واتركه في الخرطوم مع جدته حيث كان يدرس في مدرسة القديس فرانسس وعندما رجعت إلى الخرطوم وجدت أن الاصابة قد بدأت تشير إلى خلل في عصب اليد. ذهبنا به إلى لندن وأجريت له عملية جراحية فاستعادت يده عافيتها واستعدنا هدوء الببال وراحة الضمير.

واستمرت الدورة التدريبية وعندما انتهت سألني مديرالمستشفى إذا كنت سأبقى أم سأكرر الجولة قلت له : نعم و لكن في اتجاه آخر وكنت اقصد الخليج والواقع أنني في جولتي الأخيرة قد استطلعت فرص العمل في السعودية والإمارات والبحرين وقد استقر رأيي على البحرين فقد كانت وما زالت لها نكهة خاصة وطابع مميز وجاذبيه فريدة وكنت قد استلمت عقد

عمل كإخصائي للطب النفسي في وزارة الصحة في دولة البحرين وتذاكر سفر لأسرتي وافقت على العقد ووعدتهم بالحضور وأخذت موافقة البروفيسور كوبر الرقم الأول في معادلاتي وموافقة الدكتور كول والذي اقتنعه بالتخلي عن فكرة حفل الوداع فربما أعود مرة أخرى فيقذفني الموظفون بالببيض الفاسد وفعلاً بعد سنوات عدت ولكن في إجازة رسميه من مقر عملي بالإمارات واصبحت روسبي منتجاً عائلياً نرتاده في العطلات الصيفيه من وقت إلى آخر.